رأي القدس

يوم دام مؤسف في لبنان

■ اعادت الاشتباكات التي وقعت يوم امس بين انصار الحكومة والمعارضة داخل جامعة بيروت العربية الى الاذهان الصور المأساوية للحرب الأهلية اللبنانية في منتصف السبعينات من القرن الماضي.

كان مؤلماً ان نرى الدماء تتدفق من رؤوس المصابين، وألسنة اللهب تخرج من المحلات والسيارات المحروقة، وأعمدة الدخان تخيم على اجواء العاصمة اللبنانية.

هذه ليست بيروت الجميلة التي أعيد بناؤها من جديد، من عرق اللبنانيين وقوت يومهم، لكي تصبح عروس الشرق، وتحتل مكانها بقوة وسط شقيقاتها العربيات، تضج بالحياة، وتبشر بمستقبل اقتصادي وثقافي وسياسي تعددي يعكس التعايش بين مختلف الاعراق والطوائف والاتجاهات في أبهى صوره.

الشعب اللبناني، بطوائفه كافة، يدفع ثمن الانتصار الكبير الذي حققته مقاومته على العدو الاسرائيلي، وهو الانتصار غير المسبوق في التاريخ العربي الحديث. فبعد عدوان استمر 34 يوما اضطر الاسرائيليون بعدها للقبول بوقف اطلاق النار دون ان يحققوا ايا من اهدافهم في استعادة اسراهم او احتلال شريط عازل جديد في الجنوب اللبناني.

اعداء لبنان والأمة العربية بأسرها يريدون ضرب الوحدة الوطنية اللبنانية، والاجهاز على المقاومة، من خلال خلق أوضاع غير مستقرة على الارض، واشعال فتيل الحرب الاهلية مجددا، هكذا فعلوا عندما كانت المقاومة الفلسطينية في ذروة عطائها، وهكذا يفعلون عندما عجزوا عن اجهاض المقاومة اللبنانية وتدجينها.

كنا نتمنى ان يتبصر اللبنانيون، حكومة ومعارضة، بالاخطار المحدقة ببلدهم، وطبيعة المخطط المرسوم لتضخيم العنصر الطائفي، وتعميق الكراهية بين ابناء الدم الواحد، ولكن تمنياتنا لم تكن مطلقا في محلها. واصبح العناد هو سيد الموقف.

المعارضة اخطأت عندما لجأت الى الشارع، والحكومة ارتكبت خطيئة اكبر عندما تمسكت بموقفها، ورفضت تقديم تنازلات تؤدي الى انجاح الحوار، وتنفيس الاحتقان، واحباط المخطط التدميري الذي تقف خلفه قوى خارجية.

ليس هذا هو الوقت المناسب لتوجيه الاتهامات، وتحميل هذا الطرف او ذاك مسؤولية ما حدث، وهو كبير وخطير ومرعب بكل المقاييس، فالكل يتحمل جزءا من المسؤولية، حسب حجمه ودوره، وليس هناك طرف بريء تماما، او مذنب كلياً.

لقد احسن السيد حسن نصر الله زعيم المقاومة الاسلامية صنعاً عندما بادر باصدار فتوى تطالب جميع اللبنانيين باخلاء الشوارع وتركها للجيش، وفعل السيد سعد الحريري زعيم الأكثرية الشيء نفسه، عندما وجه نداء الى جميع اللبنانيين بضبط النفس والحفاظ على الممتلكات العامة.

هذه الروحية التي تعكس حرصا ومسؤولية، هي التي يجب ان تسود لبنان وتكون اساسا للعودة مجددا الى طاولة الحوار، واستكمال ما تم انجازه في جولاته الأولى، وبما يؤدي الى التوصل الى صيغة توفيقية تعيد التعايش في أفضل صوره بين كل مكونات المجتمع اللبناني.

فالمواطن اللبناني الفقير المطحون هو الذي يعاني من جراء هذه الاحداث وانعكاساتها السيئة على أمنه ولقمة عيشه، وبما يؤدي الى افقاره وزيادة معاناته، فالسياسيون الذين يتلاعبون بمشاعره وعواطفه بل ومظالمه، لا يتأثرون مطلقا، ويستمرون في العيش في قصورهم العامرة.

لا منتصر في هذه الحرب اللبنانية، ولكن هناك مهزوما واضحا وهو لبنان وابناؤه الذين يستحقون حكومة افضل واكثر مرونة وتفهما واستقلالية ومعارضة اكثر انضباطا ومسؤولية واستقلالية ايضا.

عباس بين قبلة أولمرت وتقطيبة الأسد: العبرة في طهران!

صبحي حديدي *

■ «قبلة الموت» هي التسمية التي شاء يوري أفنيري ـ الكاتب الإسرائيلي المعروف، أحد أنزه يهود العالم القلائل الذين يدعمون الحق الفلسطيني بلا هوادة، وأول إسرائيلي يلتقي علانية مع الرئيس الفلسطيني الراحل ياسر عرفات ـ اختيارها لتوصيف ما طبعه رئيس وزراء الدولة العبرية إيهود أولمرت على خدي الرئيس الفلسطيني محمود عباس، أثناء استقبال الأخير في الدارة الرسمية لرئيس الحكومة الإسرائيلية. أكثر من هذا، يضيف أفنيري: «منذ أن عانق يهوذا الإسخريوطي يسوع المسيح، لم تشهد أورشليم القدس مثل هذه القبلة»!

أليس هذا الرجل، محمود عباس، هو نفسه الذي قاطعه رئيس الوزراء الإسرائيلي السابق أرييل شارون، ثم اقتفى أثره خليفته أولمرت، طيلة سنوات؟ كيف حدث الآن أن الأخير لا يقبله على الخدين فحسب، ثم يقدمه إلى زوجته باشاً هاشاً، بل كذلك يخاطبه بصفة Mr. President (هذه الصفة التي حُرم منها الراحل عرفات رسمياً، وعن سابق عمد وتصميم، في العرف الإسرائيلي والأمريكي ومعظم البروتوكول الغربي)؟ وهل كان عباس يدرك، هو الذي وقع اتفاقيات أوسلو نيابة عن الفريق الفلسطيني، أنه هو ـ وليس سيده عرفات ـ الذي سيحظى بلقب الرئاسة بعد عمر طويل، وبعد قبلة حارة على كل خد؟

لكن مصيبة عباس لم تكن تقتصر على القبلة في حد ذاتها، بل في كيفية تسويقها إلى شارع فلسطيني لا بد أنه ضرب كفاً بكف وهو يرى إلى رئيسه يتعشى طلق المحيا هناك، ثم يرى ـ أو ينتظر غداً وبعد غد وكل يوم أن يعيش ـ المزيد من جرائم جيش الاحتلال الإسرائيلي الفاشية المنفلتة من كل عقال. ولهذا كان عباس ينتظر من أولمرت هبّة كبرى دراماتيكية تنقذ مشهد القبلة من إسفافه السياسي والإنساني، كأن يعلن أولمرت صرف رقم عال من ملايين الدولارات التي تخص السلطة الوطنية الفلسطينية وتحتجزها إسرائيل، أو أن يعد ـ أو حتى يأمر فوراً، من طاولة العشاء! ـ إطلاق سراح عدد كبير من المعتقلين والأسرى الفلسطينيين في سجون الدولة العبرية، أو ـ في أضعف الإيمان ـ أن يقرر تخفيف معاناة الفلسطينيين اليومية على حواجز الطرق...

بالطبع، لم يقدم أولمرت سوى خُمس المبالغ التي تحتجزها إسرائيل، وبدا أن فحوى العشاء الدافىء (الذي تم، للإيضاح، بناء على رغبة أمريكية وفي سبيل تحسين أوراق عباس أمام «حماس»، في مرحلة بالغة الحرج للرئاسة، سياسياً وأمنياً) كان حُسن إخراج العشاء أمام عدسات العالم، بما فيها ـ وعلى رأسها غالباً ـ تلك التي ستنقل المشهد إلى بيوت الفلسطينيين. المفارقة، كما للمرء أن ينتظر منطقياً، أن المشهد في تفاصيله البصرية الوردية كان يؤدي إلى نتيجة معاكسة، أي تحسين أوراق «حماس» وليس الرئاسة الفلسطينية، فكيف إذا تمخض عن حفنة دولارات من مال الفلسطينيين... ليس أكثر!

ومن جانب آخر، أيعقل أن يكون هذا الرجل (الذي اكتفى من الغنيمة بقبلتين وخُمس أموال الشعب الفلسطيني المحتجزة) هو نفسه الذي انقلب قبل أسابيع معدودات إلى بطل في أعين واشنطن وتل أبيب ولندن وبرلين ومعظم عواصم الغربية، فضلاً عن القاهرة وعمان، لأنه أعلن العزم على تنفيذ هزة أرضية ماحقة في فلسطين، وتنظيم انتخابات رئاسية وتشريعية مبكرة؟ ألم تنهمر عليه مدائح أفيال حركة «فتح»، مثل تماسيح الأمن في السلطة، وقطط الفساد السمينة، ورهط المتباكين على رواتب الفلسطينيين، ونادبي «هذا الحصار العبثي» الذي يفرضه العالم ضد الشعب الفلسطيني؟ ألم يتسابق بعض العباقرة العاطلين عن العمل الآن، بعد اندحارهم في الانتخابات الماضية، إلى التبشير باستطلاعات رأي تفيد أن «فتح» عائدة بقوة إلى الرئاسة والمجلس التشريعي (وحتى في انتخابات المعلمين!)، وحماس آيلة إلى مزبلة التاريخ؟

صحيح أن الإعلان كان بمثابة مناورة تكتيكية مكشوفة، حسيرة النظر سياسياً وغير دستورية وغير متاحة بالمعنى العملي والإجرائي المحض، لكي لا نقول: عطنة الرائحة، وتعيد الشارع الفلسطيني إلى التحرير، أو حتى ما تبقى من مفردات «القضية الفلسطينية» عموماً؟ وهل تبدلت استراتيجية السلام التي يعتمدها النظام السوري في حواره ـ المباشر أو غير المباشر، السري أو العلني ـ مع الدولة العبرية والإدارة الأمريكية؟ ألا تنهض أحجار الأساس في تلك الاستراتيجية على توظيف الأوراق الخارجية، أينما وكيفما جرى اقتناصها وتجميعها في قبضة النظام الحاكم، لصالح منجاة النظام وأمن بيت السلطة، أولاً وثانياً وعاشراً؟

الحال أنه كان يتوجب أن تنحني منظمة التحرير مرة وإلى الأبد، ليس قبل أو أثناء أو بعد مؤتمر مدريد كما يظن البعض؛ وليس سنة 1994، حين قصد عرفات دمشق معزياً بوفاة نجل الرئيس السوري البكر، باسل الأسد؛ وليس أثناء زيارة عرفات الفريدة إلى بلدة القرداحة (مسقط رأس الأسد) صيف 1996، حيث حمل في جعبته مقترحات إسرائيلية لاستئناف التفاوض، وتقصد أن يضم الوفد الفلسطيني الوجوه التي يمكن أن ترضي دمشق (فاروق القدومي وزهدي النشاشيبي)... بل منذ عام 1964، أي منذ انطلاقة «فتح» والعمليات الفدائية الأبكر.

دمشق، رغم أن الدولة العبرية (بلسان أولمرت شخصياً) والولايات المتحدة (في تعليق غير دبلوماسي، وربما غير مهذب كذلك، صدر عن وزيرة الخارجية كوندوليزا رايس) أعربتا عن معارضتهما للزيارة. وأيضاً، كان عباس نفسه يعرف أن زيارته لن تكون ناجحة في الشق الذي يخص اجتماعه مع خالد مشعل، رئيس المكتب السياسي لحركة «حماس»، وتحديداً في الشطر الذي يخص الاتفاق على حكومة وحدة وطنية (أي، في عبارة أخرى: إنقاذ ماء وجه الرئاسة في تكتيك اللجوء إلى انتخابات رئاسية وتشريعية مبكرة، وإبقاء العاصفة حبيسة الفنجان إياه!).

وسوى وفاة عرفات، أي انزياح «الرجل غير المرغوب به» في دمشق كما سار التعبير السوري الرسمي منذ عام 1982، ما الذي تجدد في الموقف السوري تجاه السطة الوطنية الفلسطينية، أو منظمة التحرير، أو حتى ما تبقى من مفردات «القضية الفلسطينية» عموماً؟ وهل تبدلت استراتيجية السلام التي يعتمدها النظام السوري في حواره ـ المباشر أو غير المباشر، السري أو العلني ـ مع الدولة العبرية والإدارة الأمريكية؟ ألا تنهض أحجار الأساس في تلك الاستراتيجية على توظيف الأوراق الخارجية، أينما وكيفما جرى اقتناصها وتجميعها في قبضة النظام الحاكم، لصالح منجاة النظام وأمن بيت السلطة، أولاً وثانياً وعاشراً؟

الحال أنه كان يتوجب أن تنحني منظمة التحرير مرة وإلى الأبد، ليس قبل أو أثناء أو بعد مؤتمر مدريد كما يظن البعض؛ وليس سنة 1994، حين قصد عرفات دمشق معزياً بوفاة نجل الرئيس السوري البكر، باسل الأسد؛ وليس أثناء زيارة عرفات الفريدة إلى بلدة القرداحة (مسقط رأس الأسد) صيف 1996، حيث حمل في جعبته مقترحات إسرائيلية لاستئناف التفاوض، وتقصد أن يضم الوفد الفلسطيني الوجوه التي يمكن أن ترضي دمشق (فاروق القدومي وزهدي النشاشيبي)... بل منذ عام 1964، أي منذ انطلاقة «فتح» والعمليات الفدائية الأبكر.

وثمة إغراء دائم، ليس بعيداً عن إغواء وضع وقائع الماضي في سياقات الحاضر، أن يعيد المرء استذكار واقعتين حاسمتين في تاريخ هذه العلاقة. في سنة 1964 قامت مفرزة تابعة للمخابرات العسكرية السورية باعتقال ياسر عرفات، بتهمة «التحضير لأعمال تخريبية»، وذلك بعد تفتيش صندوق سيارته والعثور فيها على أصابع ديناميت. وقد أطلق سراحه بعد ساعات، لكن الحادثة بدت غريبة لأن عرفات كان ينقل الديناميت بعلم وتسهيل القيادة السورية، وسبق له أن حصل على موافقة رسمية بنقل أسلحة مختلفة إلى معسكرات تدريب «فتح» في سورية. وكان اللواء أحمد سويداني، رئيس الأركان آنذاك، هو الذي نقل ذلك إلى عرفات شخصياً، بعد مفاوضات بين الرجلين كانت قد بدأت مطلع ربيع ذلك العام.

ولقد تبين فيما بعد أن الآمر الحقيقي لمذكرة الاعتقال كان الرجل القوي في الجيش، وصاحب النفوذ الواسع في مختلف أجهزة الاستخبارات، وقائد القوى الجوية، اللواء حافظ سليمان الأسد! كان اللواء سويداني يمثل طموح حزب البعث الحاكم في احتكار القضية الفلسطينية سياسياً وعقائدياً، ولهذا أقنع القيادة بالسماح لـ «فتح» بحرية التدريب على الأراضي السورية. في المقابل، كان الأسد يمثل مطامحه الشخصية في السيطرة على مقاليد الأمور والتمهيد لاستلام السلطة، ولهذا فقد ذكر عرفات بأنه صاحب القرار الأقوى، وأنه هو المرجعية العليا التي يتوجب على «فتح» أن تعود إليها.

وتلك الحادثة سوف تسجل بدء تاريخ طويل من العداء بين عرفات وخصمه العربي الأكثر شراسة، حافظ الأسد. الأخير ظل مصراً على تحويل جميع فصائل المقاومة الفلسطينية، و«فتح» بصفة خاصة، إلى ورقة في جيبه ولصالح خططه التكتيكية والاستراتيجية على حد سواء. والأول ظل مصراً على ضرورة بقاء البندقية الفلسطينية، والقرار الفلسطيني تالياً، في حال من الاستقلال التام عن مختلف الأنظمة العربية، وعن صراعاتها الداخلية أو الإقليمية. وهذا ما جعل الواقعة الثانية مجرد تتمة منطقية للواقعة الأولى. ففي 24 حزيران 1983 قرر الأسد طرد عرفات من العاصمة السورية بوصفه شخصاً غير مرغوب به، وجرى تأخير موعد إقلاع طائرة الخطوط التونسية المعتادة لكي يستقلها عرفات وحفنة من مرافقيه، مطروداً رسمياً. ويروي آلان هارت، في كتابه «عرفات»، أن جورج حبش كان آخر الفلسطينيين الذين ودعوا عرفات في مطار دمشق، وأنه احتضنه قائلاً: «يا الله يا أبو عمار! إذا كنت أنت تغادر الشام هكذا، فكيف سأغادرها أنا؟ ربما في كفن»!

لكن إحياء سلطة الرئاسة الفلسطينية، وليس تكفينها على أي نحو، هو الذي جعل محمود عباس يزور دمشق قبل أيام، ساعياً كذلك إلى بيع الزيارة إلى الولايات المتحدة وإسرائيل، أو المساومة عليها مع بعض الأطراف العربية مثل مصر والأردن والسعودية وقطر، ثم إعادة تسويق دور ما للرئاسة في ما يخص الحوارات الأعرض نطاقاً مع طهران ودمشق. والمشهد المسرحي الذي جرى قبيل انعقاد اللقاء الفاشل، بين امتناع عباس ومشعل كل على طريقته، ووساطات وليد المعلم (وليس بشار الأسد شخصياً... لاحظوا هذه التفصيل الطريف!)، كان مجرد تدريب على المشهد المسرحي الأهم الذي سيُنفذ في زمن قصير لاحق: اجتماع رئيس مجلس الأمن القومي الإيراني، علي أكبر لاريجاني، مع الفصائل الفلسطينية المقيمة في سورية، وهندسة سلسلة من الإيحاءات المدروسة التي كانت ترسل إشارتين: أن طهران طرف أول، قبل دمشق أحياناً، في ما يخص الفصائل الفلسطينية الإسلامية على الأقل؛ وثانياً، أن طهران طرف أول، قبل دمشق حتماً، في أي ترتيبات ذات طابع عريض يشمل قوى إقليمية عربية وغير عربية، من غزة إلى بيروت إلى بغداد إلى الرياض، وتنخرط فيه واشنطن وتل أبيب على أي نحو.

وبين قبلة أولمرت الإسخريوطية وقبلة بشار الأسد الأخوية (التي اقترنت، مع ذلك، بتقطيبة صارمة تدل على أن الذي بين الرئيسين ليس أخوياً تماماً بل هو إلى ما صنع الحداد أقرب!)، كان عباس يدرك أن المشهد لم ينقلب إلى معطيات ملموسة تنتشل الرئاسة الفلسطينية من حال الانحطاط، وكان النقيض هو الذي جرى ويجري: تعويم «حماس» أكثر فأكثر في ناظر الشارع الفلسطيني والإسلامي عموماً، وتعويم محمد دحلان بوصفه بارون «فتح» الأمني ـ العسكرتاري وبارومتر الرضا أو السخط في رئاسة أركان جيش الاحتلال الإسرائيلي!

وبالطبع: أن العبرة في طهران، عبر بوابة غزة... قبل دمشق!

* كاتب وباحث سوري يقيم في باريس

جيش المهدي..انتحر بطائفيته قبل أن ينحروه..!

هارون محمد *

■ لم يعد سراً، أن الحملة الأمريكية الحالية ضد التيار الصدري وميليشياته المسلحة المجرمة، لم تأت لتخليص العراقيين الآمنين من شرور شرادم جيش المهدي وجرائمه المتواصلة ضد السنة العرب واغتيالاته المتلاحقة للشخصيات والرموز الوطنية والقومية، وآخرها الشيخ حامد السهيل شيخ مشايخ بني تميم، والدكتور ضياء المكوطر الاستاذ الجامعي وحفيد الشيخ هادي المكوطر أحد قادة ثورة العشرين في الرميثة، وإنما نتيجة تحريض مرجعيات وتنظيمات وقيادات شيعية معروفة على نطاق واسع داخل العراق وخارجه، وجدت في مقتدى الصدر منافساً لها، يبتزها ويهدد مصالحها المالية، وامتيازاتها الشخصية والعائلية، ومستقبلها السياسي.

ولأن مقتدى كما أثبتت احداث العام الماضي، رجل ضيق الأفق، ويفتقر الى الرصانة والثبات في مواقفه، فقد إنساق بنفسه الى درك هيأه خصومه الشيعة له، وذهب بعيداً في مسار طائفي بغيض وكأنه في مزاد علني ينافس عبدالعزيز طباطبائي وموفق ربيعي وحسين شهرستاني وباقر صولاغي ونوري المالكي والجعفري وعنزي وعلي يزدي أديبي، وغيرهم من عتاة الطائفية، دون أن ينتبه الى المنزلقات التي حفرت له، معتمداً على حشد من الأفاقين والمخبرين والنشالين والمعممين المتخلفين وأدعياء الدين، نجحت أطراف شيعية منافسة له، بزرعهم في تياره، وتسيد ميليشياته. ونظرة بسيطة الى من يمثلونه في الحكومة والبرلمان والاحياء والمناطق تجد من بينهم مترجماً لدى قوات الاحتلال في البصرة اصبح وزيراً لاكبر وأغنى الوزارات، وطبيباً مرتشياً أعفاه النظام السابق من عقوبة كانت تنتظره لانه كان بعثياً بدرجة (نصير متقدم) وهو متهم بخطف وقتل الدكتور علي المهداوي مرشح جبهة التوافق لوكالة وزارة الصحة، بات اليوم ممثلاً لمقتدى في احدى مناطق العاصمة الكبرى بعد ان وضع عمامة سوداء على رأسه وهذب لحيته الشبابية على الطريقة الملائية، وشخص متجول في مدينة (الثورة) يدعى سلمان ابو السمج صار رئيساً لفرقة موت واطلق على نفسه اسم (أبو درع)، وكثير من النماذج الرثة في سلوكياتها وعلاقاتها، تبوأت مراكز ومراتب في قيادة جيش المهدي وراحت تقتل وتخطف وتسرق وتنهب بغطاء حكومي وتشجيع طائفي.

ورغم النصائح والتحذيرات الكثيرة التي وجهتها شخصيات وطنية وقومية واسلامية الى مقتدى الصدر يبصرونه بالمخططات المرسومة له ويطالبونه بفتح عينيه لما يضمره له اولئك الذين تآمروا على عمه المرحوم محمد باقر الصدر وقتل ابيه محمد صادق الصدر رحمه الله، ويلفتون نظره الى ضرورة تنظيف بيته الداخلي من الحشالات والمندسين الذين اخترقوا تياره وجيشه، الا ان الغرور أخذه، وصدق ما سمعه من رياء وعبارات مديح كاذبة، وتحول فجأة من مقاوم للاحتلال ومعارض للعملية السياسية كما كان يدعي، الى معاون للاحتلال ومشارك في العملية السياسية، ولحس جميع خطبه وتصريحاته السابقة، بل تحالف مع جواسيس الاحتلال من شيعة واشنطن، كما كان يسميهم أيام مجلس الحكم الانتقالي وحكومة اياد علاوي، وتعاون معهم ورشح لهم ستة وزراء وثلاثين نائباً، ووصل الامر به الى ان جماعته في الائتلاف الشيعي هي التي رجحت كفة جواد او نوري المالكي في تسلم رئاسة الحكومة الحالية.

ولأننا أصحاب نوايا طيبة، ومواقف وطنية، فقد وقفنا ندعم مقتدى عندما حدثت مواجهات بين جماعته في النجف ايام حكومة علاوي، وتحملنا انتقادات وشتائم من اشخاص وناطقين باسم طباطبائي وصولاغي وربيعي وحزب الدعوة والمرجعية السيستانية، اتهمونا مقتدى بالصبيانية تارة والعمالة للنظام السابق تارة اخرى، الا ان المنهج الذي سار عليه الصدر منذ تشكيل التيار الصدري وجيش المهدي، تنظيمان طائفيان وارتزاقيان، جاهزان لخدمة من يدفع اكثر، وتكشفت حقائق كانت خافية عن لقاءات لمقتدى مع موفق ربيعي ضابط الارتباط بين الامريكان والمرجعيات والاحزاب والهيئات الشيعية واخرى مع احمد الجلبي ومحمد عبدالله الشهواني في النصف الثاني من عام 2003 والنصف الاول من عام 2004، وهو ما فضح حجم الانحدار السياسي والاخلاقي لزعيم هذا التيار الغوغائي، الذي بانت عورته وظهرت صفاقته عندما سرح أزلامه واتباعه لضرب بيئة المقاومة العراقية وحاضنتها في الاحياء والمناطق السنية في الدورة السيدية والغزالية والاعظمية وحيفا والحرية والفضل وباب الشيخ في العاصمة بغداد، واغتيال الشخصيات الشيعية العروبية التي تناهض الاحتلال وتعارض حكوماته العميلة، ولعل اختطاف وقتل الشيخ حامد السهيل التميمي من قبل جيش المهدي في حي الشعلة، صورة معبرة عن نذالة هذا الجيش الذي يسمى دجلاً بالعقائدي الاسلامي، فقد خطفوا الشيخ ابن الخامسة والسبعين من عمره وهو يتفقد احد اقاربه المريض والراقد في مستشفى الكاظمية واقتادوه الى مكتب الشهيد الصدر ـ هكذا يسمونه ـ في ضاحية الشعلة، وهناك بدأوا ينادون بالناس عبر مكبرات الصوت بالحضور ومشاهدة قتل (مرتد وناصبي) ـ هكذا قالوا ـ وهناك تسجيل بالصورة والصوت يحتفظ به ذوو الشهيد وأهله عن المشهد الاجرامي، وعندما تجمع بعض الرعاع والفضوليين قاموا برمي الشيخ حامد من أعلى الطابق الثالث من بناية يحتلونها، كل ذلك جرى علناً وسيارات الشرطة والحرس الوطني تقف وشوهد افرادها يحتفلون مع القتلة في هذا المهرجان الوحشي الدموي. وبالتأكيد فان قبيلة تميم التي تضم مليون عربي عراقي، وتنتشر من البصرة صعوداً الى الناصرية والعمارة والكوت وديالى والنجف والحلة وبغداد والتاجي وابو غريب والخالدية، لن تسكت على اغتيال شيخها الجليل، وسيأتي يوم القصاص من الأوباش الصدريين والمهدويين عاجلاً أم آجلاً، خصوصا وان التسجيل الذي اشرنا اليه يبين وجوه القتلة واشكالهم ولا يستطيعون انكار سفالتهم عندما يحين وقت الحساب العادل.

التيار الصدري انتحر عندما نجح المجلس الاعلى وفيلق بدر وحزب الدعوة والمخابرات الايرانية من اختراقه وتحويل اعضائه الى فرق موت تستهدف المقاومة الوطنية ورأس الرمح فيها السنة العرب، وانخرط مقتدى في لعبة طائفية غبية شريكاً مع التنظيمات والميليشيات الطائفية التي وظفته للقيام بأعمال قذرة وهي التي تدافعه وتشجعه في العلن وتحرض عليه في السر، ومن قرأ كتاب السفير بول بريمر (عامي في العراق) يلحظ كيف كانت القيادات الشيعية تؤلب الامريكيين عليه، ففي الصفحة 253 ينقل بريمر عن موفق ربيعي ان السيستاني يخشى التهديد الذي يشكله مقتدى له وكيف ان المرجع بعد انتشار تمرد مقتدى تراجع الى عمق مبناه ذي الممرات الضيقة والملتوية قرب العتبة المقدسة في النجف؟ كما يصف بريمر لقاء له مع الجعفري ولوم الاخير للامريكان لانهم لم يتصرفوا مع مقتدى عندما كان في الزاوية.. اي منذ بداية تحركه صفحة 259.

إن مشكلة الحركة السياسية الشيعية في العراق، تكمن في تشرذمها وتآمر اقطابها فيما بينهم من اجل الامتيازات والمصالح والاستحواذ على الاموال، اضافة الى الارتباط بالخارج وتنفيذ أجندة أجنبية على حساب البلد الذي آواهم وأطعمهم ورقاهم، وهذه القضية ليست جديدة على المرجعيات والقيادات الشيعية وانما هي قديمة استخدمت فيها عمليات تنكيل وتسقيط وما أكثر القصص والوقائع بهذا الصدد، فالخميني على سبيل المثال تعرض الى اساءات بالغة من المرجعيات خلال اقامته في النجف (1965 ـ 1978) لان الرئيس الراحل عبدالسلام عارف والفريق المرحوم طاهر يحيى (السنيان) وافقا على قدومه واقامته في العراق لكونه من معارضي الشاه البهلوي، وتعرض الشيخ علي كاشف الغطاء الى حملة ضارية من المراجع وشللهم لانه رحمه الله كان يخدم ابناء الطائفة الشيعية بتجرد ونزاهة، وله مواقف جريئة مع السلطات الحكومية المتعاقبة، ولاحظوا الآن كيف يتعرض آل الخالصي الى حملة تشويه تستهدف تاريخهم المشرف ووقفاتهم الوطنية، وكذلك آيات الله المرجع احمد الحسني البغدادي والسيد محمود الصرخي والشيخ حسين المؤيد والشيخ فاضل المالكي وغيرهم من رجالات وأعيان الشيعة العرب.

وتبقى مسألة لا بد من وقفة جادة حولها تتعلق بالمرجعيات والتنظيمات الشيعية في العراق، وهي: لماذا يصبح الارتباط بدولة اجنبية ونظام خارجي أمراً طبيعياً ومشروعاً، بينما يكون الولاء للعراق والحرص على سيادته والدفاع عن شعبه (تهمة) تأخذ تسميات ارهابيين وتكفيريين ونواصب وصداميين؟

* كاتب وسياسي عراقي

زمان الوصل العربي (والقطيعة) بالأندلس

د. عبدالوهاب الافندي

(1)

أنا مدين إلى حد كبير للصديقة العزيزة الدكتور ريما خلف هنيدي (وهي في رأيي أفضل رئيس وزراء عربي لم نحصل عليه بعد) بالاطلاع على بعض روائع الفن الفلسطيني المناضل في مستهل زيارتنا لمدريد الأسبوع الماضي. كنت قد وصلت لتوي من لندن بعد رحلة مرهقة لأدلف مباشرة إلى حفل استقبال، انتقلنا منه بعد ذلك إلى مسرح مجاور حيث سعدنا بالاستماع إلى ثلاثي «مقهي استراخان» بقيادة عازف العود التونسي المبدع أنور إبراهيم. وفي الاستراحة أخذت معطفي وقررت التوجه إلى فندق «بالاس» المجاور لآوي إلى غرفتي وآخذ فترة راحة اعتقدت أنني استحققتها.

(2)

ولكن الدكتورة ريما كان لها رأي آخر، فاستخدمت سلطانها الذي لا يرد، وأمرتنا بالعودة إلى المسرح، حيث كانت المغنية الفلسطينية أمل مرقس تستعد لأداء وصلتها. وبالفعل عدنا مكرهين، لنقضي أمتع اللحظات في صحبة المطربة الفلسطينية الشابة وفرقة العازفين المصاحبة لها. وعندما انصرفنا بعد ذلك في ليل مدريد البارد، كانت المدينة، والعالم، يبدوان أروع بكثير مما كانا عليها لحظة وصولنا.

(3)

اللوم الوحيد الذي أوجهه إلى المطربة أمل مرقس هو أنها خرقت العهد الذي كنا قطعناه بيننا نحن أهل الفكر والسياسة، وبين أهل الفن والشعر، والذي تحدثت عنه هنا في وقت سابق معلقاً على زيارتنا لقرطبة أبي الوليد (ابن رشد) وأبي الوليد (ابن زيدون). وبموجب هذا التعاقد، فإن مهمة أهل الفن هي أن يحيوا ليالي المدينة بالأنس والطرب، وأن يسمحوا لنا بتكدير نهارها بتذكير الجميع بحال العرب الذي يرقق قلب العدو. ولكن أمل اختارت أن تنافسنا في الصنعة، فغنت عدداً لا بأس به من الأغاني النضالية، بدءاً من «الكرمل فينا» لمحمود درويش، وانتهاءً بأغاني هي في الحقيقة مظاهرات. ولم يبق إلا أن تخرج بندقيتها وتسبق جماعة حماس إلى الميدان. ونحن نعتبر هذا تغولاً غير مقبول على حقنا المشروع في احتكار النكد والتنكيد.

(4)

مناسبة وصولنا إلى مدريد كانت افتتاح «البيت العربي»، وهو مؤسسة ثقافية وبحثية جديدة أنشأتها الحكومة الاسبانية كمنبر للحوار مع العرب العاربة والمستعربة، وكمؤسسة لتعميق التفاهم والتبادل الثقافي بين اسبانيا والعالم العربي. ويشتمل «البيت العربي» أيضاً على المعهد العالي للدراسات العربية ودراسات العالم الإسلامي، ومهمته واضحة من اسمه.

(5)

الإشكال في هذه المؤسسة يبدأ من الاسم، الذي يكشف إلى حد ما التدهور اللغوي الذي أصاب العروبة ولغتها. فلعل الترجمة الأبلغ لعبارة «كاسا أرابي» هي «دار العرب»، أو (وهو الأفضل) «دار العروبة». ولنتخيل للحظة لو أن أسلافنا القريبين ترجموا «كازابلانكا» إلى «البيت الأبيض» بدلاً من الدار البيضاء حتى تبدو لنا لمحة من عمق المحنة التي ليست الهزائم والركود وزمان الاستبداد إلى بعض أعراضها!

(6)

مهما يكن، فإن العروبة أصبح لها دار تأوي إليها في مدريد، في اعتراف مقدر بوجود العرب ومكانتهم، وضرورة الاهتمام بثقافتهم وإبداعهم الحضاري. ولكن يجب أن نتذكر بأننا لا ندين بهذا الاعتراف (ونحن في أندلس أبي الوليد وسميه) لشعرائنا وأدبائنا وفنانينا الذين ملكوا ناصية البيان وسحروا العالم حتى دان لإبداعهم وأحنى الرأس لخوالد دررهم. ولا ندين بذلك لمفكرينا الذين ساهموا باكتشافاتهم الحاسمة ونظرياتهم المبدعة في تغيير نظرة الإنسان لنفسه وعالمه. نحن لا ندين كذلك للعرفان بنا لحكامنا وسياسيينا، الذين حكموا فملأوا الأرض عدلاً، وكانوا مثالاً في طهارة اليد وعفة اللسان، وقدوة لبقية زعماء العالم وتولوا صدر المجالس حيثما توجهوا. كلا، نحن ندين بهذه الحفاوة (والاعتراف بالحق فضيلة) لأسامة بن لادن وأيمن الظواهري وأساطين الإرهاب من مجرمي تفجير القطارات في مدريد ولندن وغيرها. فلولا هؤلاء لما عرف أحد أين يوجد العرب، ولما حفل بهم لو عرف.

(7)

بالإضافة للفن والطرب، اختار أصحاب «دار العرب» إقامة ندوة حوارية أطلقوا عليها عنوان «منتدى العوالم العربية»، كان فاتحتها ندوة حول الإصلاح في العالم العربي طلب إلينا التحدث فيها. قلت لمضيفينا: هل كنتم ترضون لو أننا طلبنا ابتدار الحوار معكم بحديث عن الإصلاح في اسبانيا؟ هل المقصود من هذا أن يقال إن على العرب أن يصلحوا من شأنهم حتى يكونوا أهلاً للحوار كما تقول إسرائيل للفلسطينيين: تأدبوا واتركوا الإرهاب ثم تعالوا لتتحاوروا معنا حول فك أسركم؟ وهل هناك هوان أكثر من هذا؟

(8)

ولكنه هوان نستحقه ونستحق أكثر منه إذا كنا نسمح لبلداننا بأن تتحول إلى مزارع سوائم، بل صحارى جرداء قاحلة خالية من كل عطاء وإبداع إنساني: الإنسان فيها كرامته مهدرة، وحقه ضائع. وإذا كنا نسمح لمن فرضوا أنفسهم على رقابنا لكي يكونوا من يمثلنا ويتحدث باسمنا في الملأ، وهم كما قال الشاعر السوداني في ملأ خير منهم:

وما روع العلياء إلا عمائم
تساوم فينا وهي فينا سوائم

(9)

نعم، مرحباً بليالي الأنس في الأندلس، دار العرب التي غادروها ولم تغادرهم، وبالحفاوة بالعرب في دارهم هذه. ولكن بأي عرب تحتفي أندلسهم وهم غرباء في القدس كما في مكة والفسطاط والقيروان غربة أبي الوليد الآخر في منافيه؟ أمناحة كلما طربنا وغصة كلما شربنا؟

القدس العربي
يومية سياسية مستقلة
تطبع في لندن ونيويورك وفرانكفورت وتوزع في جميع انحاء العالم
الاشتراكات:
الاشتراك السنوي 450 جنيها استرلينيا في عموم بريطانيا و 750 دولارا امريكيا للوطن العربي وخارج بريطانيا بما في ذلك اجور البريد.

الناشر:
مؤسسة القدس العربي للنشر والاعلان

رئيس التحرير:
عبد الباري عطوان

المقر الرئيسي (لندن): 164/166 كنج ستريت، همرسميث، لندن دبليو 6 او كيو يو
هاتف: 8008 741 ـ 0208 (6 خطوط).
فاكس: 8902 741 ـ 0208 أو 7637 748 ـ 0208
مكتب القاهرة: 43 أ شارع قصر النيل ـ الدور الاول ـ شقة رقم (2). هاتف/فاكس: 3901523(202)
مكتب المغرب: 80 شارع فال ولد عمير شقة 7 الطابق الرابع ـ الرباط. هاتف/ فاكس: 723152(37 212)
مكتب عمان: شارع الصحافة مجمع البداد التجاري الطابق الرابع.
هاتف/فاكس: 5066089 (9626)
مكتب باريس: هاتف ـ فاكس: 57364 420 (331)

Head Office (London): 164-166 King Street, Hammersmith, London W6 0QU England
Tel: 0208-741 8008 (6 Lines) Fax: 0208-741 8902 / 748 7637
email: alquds@alquds.co.uk * Internet: www.alquds.co.uk
Cairo Office: 43 a Kasser Al Neel St, First Flo